

آثار عرب الشام

الغساسنة

بينما كان علماء الالمان في هذا العام يبحثون في الجامع الاموي في دمشق الشام عن آثاره الخطية القديمة وينشرون ما انطوى فيه من الكتب والرسائل العبرانية والسامرية واللاتينية والارمنية واليونانية والسريانية كان المسيو برهت احد المستشرقين الالمانيين ايضا يجول بين يدي سكة الحجاز الحديدية في غربي الاردن حيث تكثر الخرابات والآثار القديمة . وقد سُمِّل له ذلك المهندسون الالمان في السكة الحديدية الحجازية

ولما عاد المسيو برهت الى وطنه نشر شيئاً من نتيجة رحلته . وأهم ما جاء فيها تنبيهه الى خرابات مجهولة قائمة وراء الاردن على طريق الحج تدعى « المشتى » وقد سميت كذلك لان البدو هناك يصرفون فصل الشتاء فيها

وخربة « المشتى » هذه عبارة عن قلعة مربعة تقريباً طول جدارها الجنوبي ٦٠ متراً وجدرانها الثلاثة الاخرى اقصر بثلاثة امتار . وعلى هذه الجدران الثلاثة برجان ضخمان وخمسة ابراج اخرى اصغر منهما . والمدخل اليها كائن في صدرها الجنوبي . وهذا الصدر مزين بنقوش في غاية الجمال واهـ حكام الصنعة حتى ان السائح ليدersh من انقائها

لكن يظهر من حالة البناء انه لم يتم قط اي ان الذين شرعوا في بنائه عدلوا عنه بعد الشروع فيه . قال المسيو برهت : ولكن من بنى ذلك البناء الفخم في تلك البرية الجرداء التي لا اثر للقرى والمدن من حولها ؟ يظهر ان السائح يرجح ان ذلك الاثر من آثار الغساسنة عرب الشام . فان المسيو دي فوكوه يقول ان آثار شربة البيداء في الصفا في شرقي دمشق هي من آثار الغساسنة . والمشتى شبيهة بشربة البيداء من عدة وجوه . وفضلاً عن ذلك فني قرب المشتى قلعة اخرى تدعى « القسطل » مشهور عنها انها من آثار الغساسنة .

(انظر كلام ابي الفداء بعد) وفي ذلك دليل على صحة رأي المسيو برهت

ومعلوم ان الغساسنة عرب اصلهم من اليمن من بني الازد وقد هاجروا بلاد العرب عقب حروب واضطرابات مختلفة (١) « ونزلوا على ماء بالشام يقال له « غسان » فنسبوا اليه . وكان قبلهم بالشام عرب يُقال لهم العجماء من سايح فاخرجت غسان سايحاً عن ديارهم

وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم . واول من ملك منهم جفنة بن عمرو . وكان ابتداء ملكهم بالشام قبل الاسلام بما يزيد على اربعمائة سنة وقيل أكثر » (ابو الفداء) ولما ظهر الاسلام اتخذهم القياصرة اعواناً لهم على المسلمين كما اتخذوهم من قبل اعواناً لهم على الفرس فكان الدم العربي المسيحي في جيش الروم يحارب الدم العربي في جيش المسلمين . اي ان الاخوين كانا يقتتلان كل واحد دفاعاً عن دينه وملكه وبلاده . وغير غريب ان تكون خرابة المشتى الجميلة أثراً من آثارهم فقد روى المؤرخون انهم كانوا مولعين بالبناء وانشاء القصور والحصون والقصور . منها صرح الغدير (١) في اطراف حوران لاميرهم ثعلبة . والقناطر وادرج والقسطل الذي مر ذكره لجبله . والحفير ومصنعه للحارث بن جبلة . ودير ضخ ودير النبوة (٢) للايهم بن الحارث . وقصر السويداء للنعمان الذي قال النابغة الذباني في ابيه عمرو

عليّ لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده لبست بذات عقارب

واصلح النعمان بن الحارث صهاريج الرصافة وكان قد خر بها بعض ملوك الحيرة اللخمين . وبني الايهم بن جبلة بن الحارث ابنية في تدمر وكان له عامل يدعى « القين » بنى خسر وقصرًا عظيماً في البرية ومصانع الذي يظن ابو الفداء انه قصر برقع

وكان القساسنة يحبون السكنى في القفار والسهول الجدداء على الاقامة في المدن والقرى وذلك لانطباعهم في الاصل على المعيشة البدوية ولكن امراءهم كانوا يتخذون القصور والحصون مقاماً لهم ويبنونها في وسط القفار . وكان لديهم بناءون ماهرون في صناعة البناء من اليونان والفرس . وكل امير منهم لم يكن يبني شيئاً في حياته فانه يكون عندهم قد خالف سنة اجداده كما رايت في ما تقدم

وقد شاهد المسيو برهت في سياحته التي نحن في صدرها في جهات ادوم ايضاً آثار 'بصرى الادومية' (غير بصرى العربية) وهي التي كانت موجودة في عهد موسى لما اقتسم ارض الميعاد بين بني اسرائيل ودخلت يومئذ في قسم روبيين . ولكن بما انها كانت على حدود مملكة روبيين وادوم ومواب فقد كانت تنتقل بين هذه الممالك الثلاث تبعاً للنصر . وقد صارت في عهد قسطنطين الكبير وفيليب العربي كرسياً للولايات العربية وبلغت من الحضارة مبلغاً عظيماً . وفي عصر مملكة تدمر كانت حصناً للحدود ومركزاً عاماً لقوافل التجارة .

(١) لعلها شربة البيداء التي تقدم ذكرها آنفاً

(٢) بقول ابو الفداء « النبوة » ولعلها اصح لنسبتها للافنوم الثاني

اما اليوم فلم يبقَ فيها سوى خرابات نغيمة وبوت حقيرة تسكنها ثلاثون او اربعون عائلة ولكن السائح وجد بجانب بصرى هذه خرائب قريتين تدعيان « غسام » قال بعضهم: فمن المحتمل ان تكون هذه الكمية منحرفة عن « غسان » وان تكون تلك الآثار من آثار الفسائنة ايضاً . وبذلك نقوى حجة القائل بان خرابة « المشقى » من آثارهم لثبوت وصولهم الى بلاد اودوم

كتاب مفتوح

الى عطوفتو رشيد بك والي بيروت قبلاً
ووالي بروصه الآن

هي قصة صغيرة نرجو من عطوفتكم ان تسمحوا لهذه المجلة ان نقصها عليكم . وهي مضطرة الى ذلك بسبب وظيفتها الاولى التي كانت لها فانكم تعلمون يا صاحب العطوفة ان هذه المجلة كانت تدعى « الجامعة العثمانية » ونذكر انها صدرت وعطوفتكم في بيروت . وقد صرفت همها منذ نشأتها للدعوة الى ما فيه التوفيق بين العناصر العثمانية المختلفة . وذلك لسببين (الاول) ان اخلاق صاحبها تكره الشقاق والنزاع . وهو يفضل ان يكون بين الاحزاب تصيبه الصدمات من الجانبين على الانحياز لاحد الفريقين . ذلك لان الانحياز يقتضي التنازل عن الاستقلال الشخصي وطلب الغلبة لا طلب الحقيقة . فقد قال فولتير واصاب في هذه ان من ينشد الحقيقة المجردة لا يمكن ان يكون مع حزب دون حزب لان كلاً من الاحزاب في جانبه شيء من الحق . والعقل يوجب على العاقل الاعتراف بهذا الحق بدل انكاره تأييداً لحقه . (والسبب الثاني) ان مصلحة الدولة العثمانية نفسها ومصلحة « كل » العناصر فيها قائمة بالتوفيق والاتحاد والمسالمة

وقد استمرت « الجامعة العثمانية » في سنتها الاولى تُبحث في الاصلاح العثماني وطرقه بكل حرية وهي تدخل مع البريد العثماني مارة على قلم المراقبة دون ان يؤخر جزء منها او تُقص صفحة من صفحاتها . . نحييتكم بذلك ظن صديق غيور كان يرسل اليها من بيروت مع احد الاصدقاء يقول لها ان تعدل عن الكلام في الاصلاح وذكر الاصلاح لئلا يصيبها اذى . ذلك لانكم فهمتم غرضها وأحسنتم الظن بها